فقط بل أخذ بولم الولائم ويقدم لمدعويه لحوم الخيل مطبوخة الوانا متعددة وسنت هيليار أيضاً الف رسائل في «مواد الطعام وخصوصاً لحم الخيل» وهكذا حذاحذوهم لو روته الذي هو اليوم رئيس مدرسة ليون الطبية وثم الكاتب الشهير دوماس وغيره .

﴿ صاحبنا امام المرآة ﴾

(لحضرة الكاتب المجيد يوسف أفندي البستاني)

ليأذن لي القاريء الكريم ان اترك الانكليز والبوير يقتتلون على حدود ناتال والجنرالين بولر وجوبير يدبران خطط القتال والامبراطور غليوم عند جدته في البلاد الانكليزية . والقيصر يمد خطوطه الحديدية الى انحاء الحدود الهندية . والموسيو دلكاسه ناظر الخارجية الفرنساوية يخطب على المنابر النيابية بلسان الجمهورية ـ لاحدثه عن صاحبنا ابن آخر الزمان امام مرآته الهية : فقد اتفق لي ان زرت صاحباً من عهد غير بعيد ولما كانت الالفة بيننا نافية للكلفة تجاسرت أن ادخل بابه بغير استئذان فاذا هو امام المرآة يتأنق في تمشيط شعره الحريري ولبس ثوبه المصنوعة على الزي الاخير فوقفت كأنما على رأسي الطير لا انبس ببنت شفة ولا ابدي أقل حركة مخافة أن يشعر بي فيحرمني من لطف حركاته وسكناته ومن معرفة سر التمدن الحديث . غير انه لحسن حظي كان اهتمامه شديداً بشخصه الجميل الى حد انه غفل عن كل قادم وعن بابه المفتوح لكل ناظر .. ولكن ماذا نصف وماذا نشرح فما العروس ليلة زفافها وما الخطيبة قبل مقابلة خطيبها وما المحبة قبل المرقص حيث ينتظرها حبيبها أو الانسة حيث ترجو ان تفوز بحسن نصيبها ـ

فكلهن اقل عناية واقل تأنقاً من صاحبنا ابن آخر الزمان ..

مشط شعره حتى وثق بانه أصبح مثل الحرير أو أنعم ثم فرقه بالضبط والتدقيق ونظر اليه بعين المنتقد مثنى وثلاث ورباع وشرع يقلب رأسه أمام المرآة يمنة ويسرة ومقدماً ومؤخراً ليرى مجموع ذياك الرأس الجميل من جميع جهاته

ثم عكف على شاربيه فكواهما بالمكوى الخصيص وفتلهما فتلا محكماً مبرماً حتى بات المصور البارع عاجزاً عن تصوير شاربين مثلهما في حسن الشكل وجمال الصورة . ولما فرغ من أمرهما ووضع عليهما قليلا (أو كثيراً كما تشاء) من المعطرات الطيبة تبسم حتى يرى كيف يكونان عند الابتسامة ثم عبس ليرى هيبته ساعة الغضب . وتحول الى كل حال من السرور والغضب والفنج والدلال حتى اطمأنت نفسه ورسخ اعتقاده في حسن تنظيم شاربيه حرسهما الله .

ثم انتقل الى عقد ربطة الرقبة على طريقة المتمدنين الحديثة اي التي جاءت رسومها في جريدة الازياء الباريسية من عهد قريب والله أعلم كم حل الملك الربطة وكم عقدها وكم نظر اليها . وهكذا أصاب كل قطعة من ملابسه البديعة الصنعة أعظم نصيب من العناية والاهتمام . ولما انتهى من ترتيبها جميعها وقف أمام المرآة مثل قضيب الاس أو مثل الرمح السمهري وأخذ يعجب بطرفه الكحيل وخده الاسيل وشاربه الجميل وخصره النحيل وينتقد كل حركة وكل سكنة تقال من لطفه ومن جاذبه . وبينما كان يدور يمنة ويسرة وقع نظره عليّ لسوء الحظ بالقسر عن شدة تحفظي فسلمت عليه بضحكة ملأت شدقيّ وانتهت الرواية .